من اعسر الامور على من تقيد بمذهب معين كما هو مشاهد وربما لو حبس احد
المغاربة لمذهب وضرب لا يخرج عن ذلك المذهب الى غيره حتى كانهم
في ملتين مختلفتين وكل هذا من كثرة الجهل بل سمعت بعضهم
يقول من الحنفية فان قال الخصم كذا قلنا كذا نعوذ بالله من الضلال فان
غالب المغاربة فرعهم ذلك وتراهم يقولون سائر ائمة المسلمين على هدى
من ربهم بالسنتهم فقط وتشمئز نفوسهم من العمل باقوالهم واذا اضطر
الى العمل بقول غير امامه يقول نقلد فلانا للضرورة من باب الضرورات
تبيح المحظورات كانه وقع في معصية بل فعله هذا هو المعصية الكبرى
يجب عليه التوبة والاستغفار من ذلك فانهم لو كانوا يعتقدون ان
الائمة على هدى ما نفرت نفوسهم من العمل باقوالهم لان الهدى
لا تشمئز منه نفس من شاهده هدى فتامل ولم يبلغنا ان احدا من علماء
السلف امر احدا ان يتقيد بمذهب معين ولو وقع ذلك لوقعوا في
الاثم لتفويتهم العمل بكل حديث لم ياخذ به ذلك المجتهد الذي امر
الخلق باتباعه والشريعة حقيقة انما هي مجموع ما بايدي المجتهدين
كلهم لا بيد مجتهد واحد فجميع علماء الشريعة في فلك الشريعة يسبحون
رضي الله عنهم اجمعين لان جميع اقوالهم لا تخرج عن مرتبتين لانها اما
مائلة الى الاخذ بعزائم الامور واما مائلة الى الاخذ بالرخص ولكل من
المرتبتين رجال فمن امر اصحاب مرتبة بفعل المرتبة الاخرى من صعود او نزول
جبرا اخطأ كما تقرر في النخبة وما ذهب بعض العلماء الى عدم تتبع
الرخص الا في حق اهل الرخصة من الاقوياء فالمتمذهبين في دينهم كالذي
يتبع الحيلة على اكل مال يتيم او وقف او مال كافر ونحو ذلك ولم يوجب
الله تعالى على احد التزام مذهب من مذاهب المجتهدين بخصوصه لعدم
عصمته ومن ابى حمل هذا الوجوب والائمة كلهم تبرؤوا من الامر باتباعهم
وقالوا اذا بلغكم حديث فاعملوا به واضربوا بكلامنا الحائط رضي الله
عنهم اجمعين فتامل ذلك فانه نفيس ومنها انه لا يخوض بعقله
فيما طريقه الكشف والتعريف الالهي كحقيقة الروح وحقيقة الذات
المقدسة او حقيقة الخلق وكيفية وجودهم مع الذات او حكم اصحاب
الفترات او حال الناس في البرزخ او حصول الثواب ووقوع العقاب
ونحو ذلك من جميع الابواب التي سدها الشارع صلى الله عليه وسلم ولم
يصرح باحكامها في سنته اذ كل باب سده الشارع ولم يفتحه
لسبب فلا حرج في الخوض فيه على وجه اليقين بعقله ابدا فان ذلك
خاص باهل الكشف والتعريف الالهي وقد ذكر في الفتوحات المكية
جملة من اقسام اهل الفترات فلا باس بذكرها هنا فانه فتح دزبها بقواعد
الشريعة فاقول قال الشيخ رحمه الله اعلم ان اهل الفترات هم
الذين نشؤوا زمان الفترة بين رسولين فلم يعملوا بشريعة النبي
المتقدم لانه درسها ولم يشرع بعد شرع النبي الاتي ثم هم متنوعون

في

٩١

في اعتقاداتهم والمسائل بحسب ما تجلى لقلوبهم من الاسماء الالهية عن علم منهم
بذلك ومن غير علم وهم على اقسام كثيرة فقسم وحد الله تعالى بما تجلى لقلبه عن فكره
بهذا الاسم دليل ممتزج بكون من اجل فكره كقس بن ساعدة واضرابه فانه ذكر
في خطبته ما يدل على ذلك فانه ذكر المخلوقات وذكر اعتباره فيها وهذا نعت
الفكر ولهذا كان يبعث امة وحده لانه غير تابع في اعماله لشريعة نبي من
الانبياء وكذلك قال صلى الله عليه وسلم في زيد بن عمرو بن نفيل انه يبعث امة وحده
حتى اخبروا انه كان يستقبل القبلة في الجاهلية ويقول اللهم الاهي اله ابراهيم
وديني دين ابراهيم ويسجد واخبر عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يعيب على
قريش ذبائحهم ويقول الشاة خلقها الله تعالى وانزل لها من السماء الماء وانبت
لها من الارض المرعى ثم تذبحونها على غير اسم الله انكارا لذلك واعظاما وقد
كان لقي النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان ينزل عليه الوحي وقسم وحد الله تعالى
بنور وجده في قلبه لا يقدر على دفعه من غير فكر ولا روية ولا نظر في دليل فهو على
نور من ربه خالص غير ممتزج بكون فهذا القسم يحشرون اخفياء ابرياء وقسم
الغني في نفسه واطلع من كشفه على منزلة محمد صلى الله عليه وسلم فآمن به في عالم
الغيب على شهادة منه وبينة من ربه فهو يحشر يوم القيامة في ضنائن خلقه
وفي باطنية محمد صلى الله عليه وسلم لعلمه بعموم رسالته من ادم عليه السلام
الى وقت بعثه بهذا المكاشف من شرة صفا سره وخلوص يقينه وقسم تبع ملة من
سبق تقدمه كمن تهود او تنصر او تبع ملة ابراهيم او من كان من الانبياء عليهم
الصلاة والسلام لما علم واعلم انهم رسل الله تعالى يدعون الى الله تعالى
لطائفة مخصوصة فتبعهم وامن بهم وسلك سننهم فحرم على نفسه ما حرم
ذلك الرسول وتعبد نفسه لله تعالى بشريعته وان كان ذلك غير واجب عليه
اذ لم يكن ذلك الرسول مبعوثا اليه فهذا يحشر مع من تبعه يوم القيامة
ويتميز في زمرته وقسم طالع في كتب الانبياء فرأى شرف محمد صلى الله عليه وسلم وعرف
دينه وثواب من اتبعه فاقر بالرسالة فآمن به وصدق على علم واتى مكارم
الاخلاق فهذا يحشر مع من امن بمحمد صلى الله عليه وسلم لا في العالمين سواء
كان دخل في شرع نبي ممن تقدمه اولا وقسم امن بنبيه وادرك نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم فامن به فله اجران وهؤلاء كلهم سعداء عند الله تعالى وقسم
عطل فلم يقر بموجود من نظر قاصر وذلك القصور بالنظر اليه لضعف في مزاجه
من قوة فكره من التفكر فهو تحت المشيئة وقسم عطل لا عن نظر بل عن تقليد
بذلك شقي مطلقا وقسم اشرك من امتثال فيه نظر بين الحق مع بذله المجهود
الذي تعطيه قوته فهو تحت المشيئة وقسم اشرك لا عن استفراغ ونظر فذلك
شقي سواء كان عن تقليد ام لا وقسم عطل بعد ما ابت عن نظر بلغ به اقصى
القوة التي تعود عليها من الضعف فهو تحت المشيئة وقسم عطل بعد ما ابت عن
نظر بلغ به اقصى القوة والاستقصاء في النظر او التقليد فذلك شقي وجود
كل ذي علم عليم فتامل ذلك فانه نفيس ومنها ان يقبل على العمل بالاحاديث
الضعيفة كلها ولو قيل بضعف سندها بانها لا تخرج عن الشريعة حتى
الاحاديث الموضوعة فانه لولا شعاع الشريعة يشعر لها ما اهتدى الواضع
لمعرفة اسم ذلك الحكم الذي وضع فيه الحديث فضلا عن دليله وتامل نزول صلى
الله عليه وسلم لا سبق الا في خف او حافر كيف زاد الواضع لبعض الخلفاء او